مثل سهل التستري والصبحي وعبد الرحيم وكان يجلس الى اولئك الخلق الكثير الذي
لا يحصى والى سواه عدد يسير قل ما يجاوز العشرة لان النفيس العزيز لا يصلح الا لاهل
الخصوص وما يبذل للعموم فامره قريب ومنها ان يكون اعتماده في علومه على بصيرته و
ادراكه بصفاء قلبه لا على الصحف والكتب ولا على تقليد ما يسمعه من غيره وانما المقلد صاحب
الشرع صلوات الله عليه وسلامه فيما امر به وقاله وانما يقلد الصحابة من حيث ان فعلهم وقولهم
يدل على سماعهم من رسول الله صلعم ثم اذا قلد صاحب الشرع صلعم في تلقي اقواله وافعاله
بالقبول فينبغي ان يكون حريصا على فهم اسرارها فان المقلد انما يفعل الفعل لان الرسول عم
فعله فالرسول لم فعله لابد ان يكون لسر فينبغي فيه ان يكون شديد البحث عن اسرار
الاعمال والاقوال فانه ان اكتفى بحفظ ما يقال كان وعاء للعلم ولم يكن عالما ولذلك كان
يقال فلان من اوعية العلم وكان لا يسمى عالما اذا كان شانه الحفظ من غير اطلاع على الحكم
والاسرار ومن انكشف عن قلبه الغطاء واستنار بنور الهداية صار في نفسه متبوعا مقلدا
فلا ينبغي ان يقلد غيره ولذلك قال ابن عباس ما من احد الا يؤخذ من علمه ويترك الا رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقد كان تعلم من زيد بن ثابت الفقه وقرا على ابي بن كعب القران ثم
خالفهما في الفقه والقراة جميعا قال بعض السلف ما جاءنا عن رسول الله صلعم قبلناه
على الراس والعين وما جاءنا عن الصحابة فناخذ ونترك وما جاءنا عن التابعين فهم
رجال ونحن رجال وانما فضل الصحابة لمشاهدتهم قراين احوال رسول الله صلعم واعتلاق
قلوبهم امورا ادركت بالقراين فسددهم ذلك الى الصواب من حيث لا يدخل في الرواية
والعبارة اذ فاض عليهم من نور النبوة ما يحرسهم في الاكثر عن الخطا واذا كان الاعتماد
على المسموع من الغير تقليدا غير مرضي ولا اعتماد على الكتب والتصانيف ابعد بل الكتب و

هذه الكتب والتصانيف محدثة لم يكن شيء منها في زمان الصحابة وصدر التابعين وانما
حدثت بعد مائة وعشرين من الهجرة وبعد وفاة جميع الصحابة وجلة التابعين و
بعد وفاة سعيد المسيب والحسن وخيار التابعين بل كان الاولون يكرهون كتب
الاحاديث وتصنيف الكتب لئلا يشتغل الناس بها عن الحفظ وعن القران وعن التدبر والتذكر
وقالوا احفظوا كما كنا نحفظ ولذلك كره ابو بكر الصديق وجماعة من الصحابة رض
تصحيف القران في مصحف وقالوا كيف نفعل شيئا لم يفعله رسول الله صلعم وخافوا
اتكال الناس على المصاحف وقالوا نترك القران يتلقاه بعضهم من بعض بالتلقين
والاقراء ليكون شغلهم وهمهم حتى اشار عمر وبقية الصحابة بكتب القران خوفا
من تخاذل الناس وتكاسلهم وحذرا من ان يقع نزاع فلا يوجد اصل يرجع اليه في كلمة
او قراءة من المتشابهات فانشرح صدر ابي بكر رض لذلك فجمع القران في مصحف واحد
وكان احمد حنبل ينكر على مالك تصنيفه الموطا ويقول ابتدع ما لم يفعله الصحابة و
قيل اول كتاب صنف في الاسلام كتاب ابن جريج في الاثار وحروف التفاسير
عن مجاهد وعطاء واصحاب ابن عباس بمكة ثم كتاب معمر بن راشد الصنعاني باليمن
جمع فيه سننا منثورة مبوبة ثم كتاب الموطا بالمدينة لمالك بن انس ثم جامع سفيان الثوري
ثم في القرن الرابع حدثت مصنفات الكلام وكثر الخوض في الجدال والخوض في ابطال
المقالات ثم مال الناس اليه والى القصص والوعظ بها فاخذ علم اليقين في الاندراس
من ذلك الزمان فصار بعد ذلك يستغرب علم القلوب والتفتيش عن صفات النفس
ومكايد الشيطان واعرض عن ذلك الا الاقلون فصار يسمى المجادل المتكلم عالما
والقصاص المزخرف كلامه بالعبارات المسجعة عالما وهذا لان العوام هم المستمعون

Copyright King Saud University